

زورق النور

محمد محمود المزي

الثمن : ل.س. (١) واحدة

al-ʻIzzī, Muḥammad Maḥmūd

زورق النور

Zawraq al-Nūr

محمد محمود العزّي

المطبعة العمومية بدمشق

الإهداء

الى جانب الخير من الصراع الأبدي في وحدة المتناقضات أهدي هذا الجزء الخامس من ديواني

العزّي

كلمة

في مقدمة الجزء الأول « من رمال الجفر » كلمة فيها أن الأدب نافع في دعم الاتجاه الاجتماعي وأنه كان على طول تاريخ المجتمع الانساني أدباء يدعمون الاتجاهات الاجتماعية فيه مذ كان هناك أدب وناس يتأثرون به ؛ وفي مقدمة الجزء الثاني « في المعركة » تحليل من كاتب من الاردن للأوضاع العالمية العامة ورسالة أدبنا في الكفاح ضد أعدائنا وفي مقدمة الجزء الثالث « حلية ودماء » كلمة فيها رأي واضح في الشعر العربي الحديث أهم مافيه أن التزمت شيخوخة وهرم وان

التحلل من كل التزام هو صبيانية وهدم عابث وفيما يخص
الجزء الرابع « حب وحقد » جاء أنني لم أحس بتجربة أعمق
فعالية في الوجدان من تجربة النضال والتفكير، التفكير في
وجود هذا الكون وطبيعة سيره وتطوره ولذلك فلم أستطع
أن أمارس وأنا مرتاح النفس إلى حرارة الوجدان وصدق
التجربة غير هذا اللون من الشعر الذي أدعوه شعر الفكر
النضالي وهو بعيد عن « الأدب الموجه » بعده عن أدب
« الفن للفن » إذ أنه تجربة واقعية ينشأ عنها ويعدّ لها فكر حر
لا يلتزم بمشاريع وبرامج وتخطيطات ولا يتحلل من التزامات
استجلاء الحقيقة وتقدم المجتمع، وفي هذا الجزء زورق النور تطبيق
عملي على ما سبق فمن ناحية الشكل – مع إيماني بوحدة الأثر الفني
يظهر جوهر الطابع القومي واضحاً في انسجام جرس الحروف
والكلمات وتجاوبها والتزام الموسيقى ولو لم يلتزم البحر

والقافية أحياناً فأنا ممن يرون أن فقدان الموسيقى من القول يفقده حق تسميته شعراً مهما كان هذا القول جميلاً، ويصدق فيه وفي اصحابه قول الشاعر العربي الكبير

ومشوا بالقريض مشية سكران
شديد الضلال جم العثار
أفقدوه حلاوة النغم البكر
وما في النظيم من اسكار

وما دام الانسان موجوداً على هذه الارض فهو محتاج الى القول الجميل الموسيقي وقادر عليه فان كان القول الخالي من الموسيقى يصح أن نسميه شعراً لأنه جميل... الخ فماذا نسمي القول الموسيقي الجميل .. النغ هو الآخر . العبرة ليست بالاسماء إن هناك فرقاً واضحاً كل الوضوح ولا يصح أن تلتبس الهويات مع وجود العلامات الفارقة فأيها يجدر به أن يبحث

له عن اسم آخر غير اسم الشعر ؟ !

المسألة ليست مسألة فرض اسم أو تزييف هويه إن هذا النمط من الأدب لون من ألوان النثر الفني أو هو كما قيل فيه ـ نثر مشعور ـ وليس شعراً بأي حال من الأحوال وأسوأ من هذا الخلط المطالبة بمسخ الحروف العربية حروفاً لاتينية فنكتب من اليسار الى اليمين لا من اليمين إلى اليسار ونكتب السين عموديه لا أفقية والنون متجهة الى الاسفل لا إلى الأعلى إن كثيراً من الحروف اللاتينية هي حروف عربية مقلوبه . والسين والنون والراء والكاف واللام والفاء والجيم والواو والياء شاهد على ذلك .

صحيح أن التنقيط والشكل في كتابتنا مشكلة تحتاج إلى حل ولكن حلها الصحيح لن يكون قطعاً استبدالها بل تطويرها ، لسنا أمة ميتة التاريخ أو سهلة الاندثار كما يرغب

الاعداء والتافهون من أدعياء التقدم والحضارة . ان استبدال حروفنا لا تطويرها هو عملية ناجحة من عمليات ابادتنا كأمة عربية وحاش لهذه الأمة أن تبيد إننا نحن الذين سنبيد أعداءنا ونؤثر ونتأثر بأصدقائنا ، لسنا نحن الذين تصهرهم وتهضمهم أو تغير شخصيتهم الأمم الأخرى - مع احترامنا لكافة الامم والشعوب - وليس تاريخنا الروحي فقيراً كالتاريخ الروحي للشعب التركي مثلا فنحن قد أثرنا في التاريخ الروحي لهذا الشعب أثراً واضحاً لا يزال باقياً إلى الآن فان شاء ساسته أن يتأثروا بأمم أخرى غيرنا فذلك شأنهم وشأن شعبهم في كمية وكيفية هذا التأثر ولكن الأمة العربية في غنى كل الغنى عن مثل هذا التأثر إن الشعب التركي لم يخسر شيئاً من تراثه المحض ومميزاته الخاصة باستبداله حروف كتابته العربية حروفاً لاتينية أما نحن فحروفنا العربية نطورها ونحل اشكالها

لا نستبدلها استبدالا فلا يلزمنا إلا إعادة النظر في الشكل والتنقيط وما ذلك بمعجز الموهوبين المخلصين .

ثم أنني أذكر أدعياء التقدم بالصين وكتابتها التي هي غاية في السذاجة والتعقيد وأذكرهم في الوقت نفسه بأن ساسة الصين الشعبية أميون من تعليم عقيدتهم أن الأمم كلها ستصبح أمة واحدة وهذا المنطق لا يجعل في الانصهار غضاضة على النفس ومع ذلك فهل غيروا حروفهم الساذجة الشديدة التعقيد أم تظنون أنكم مثقفون وماوتسي تونغ غير مثقف وهو الشاعر الزعيم صاحب المؤلفات الكثيرة وصاحب الآراء الفلسفية والجرأة التي لا تنكر فأين أنتم من الناس لا أنتم من المحافظين ولا من المبدعين وانما هذا الخلط هدم صبياني عابث فيه إسفاف ووقاحة وغرور إن لم نتهم أصحابه بأكثر من هذا ، وحتى لو كتب الصينيون بالحروف اللاتينية

فان ذلك لايعني أنهُ يتحتم علينا نحن أن نكتب بها، وأنا شخصياً أعتقد أن الحرف العربي سيتخلص من إشكال التنقيط والشكل مع احتفاظه بطابعه الأصيل بحيث يستطيع قارئه العادي أن يقرأ ما كتب بأصله سابقاً دون كبير عناء كما أن القواعد ستيسر وتصبح لغة الخطاب العادي قريبة جداً من لغة الجريدة والاذاعه والمدرسة أما لغة الأدب فصناعة فيها فن لابد وأن تكون دائماً وأبداً أعلى مما تستطيع الجماهير صنعه ولا أعني أبداً أنها أعلى مما تستطيع الجماهير فهمه مع إيماني بأنه سيظل وإلى الأبد هناك شيء في الفلسفة والعلم والفن لايستطيع الجميع أن يفهمه فكلما ارتقى جيل من سابقه ظهر عمالقة في الفكر والعلم والفن أضافوا وجددوا إنما المهم أن لانفقد الاتصال بين القادة والجماهير لا أن يزول الانفصال بمعنى التميز فالقادة يتميزون من الجماهير حتماً ولا

غرابة في ذلك وانما الغرابة ان يستوي الجميع؛ وعظماء الفكر والعلم والفن هم من القادة ولا شك أما أن تسف لغة الأدب بحجة إفهام الجماهير فذلك في رأيي خطأ، حقاً يجب إفهام الجماهير وحقا إن الاغراب في اللفظ والتنطع في صوغ العبارات جمود ومخالفة لنشاط الحياة ولكنه على كل حال أفضل من الاسفاف وأفضل من هذين أن لا يعيبك حين تقول مثقف صحيح تعز عليه لغته وأن يفهم قولك أخ لك في قوميتك ولسانك ممن يهمهم أن يفهموا أما الكتابة باللغة العامية فخطرها أشد من خطر استبدال الحروف حيث اننا في مدى قرن واحد من الزمان سننقسم أكثر من عشرين أمة لا أمتين ولا عشر أمم أما لغة الحوار في المسرحية المكتوبة فما ورد منها بالعامية وجب تفسيره باللغة الصحيحة أما التمثيليات التي لا يحتفظ بها كتراث أدبي فجائز تماماً أن تلقى بالعامية وعما هو اكثر

منها إسفافا فهي ليست تراثا أدبيا خالداً وإنما هي نشاطات يوميه كمجلس سمر في يوم نزهة لايحسب لها حساب في كنز التراث الروحي اللأمة (الفكر والفن). إن الجاحظ كان يضمن كتاباته عبارات عامية وليس في ذلك ضرر بل العكس هو الصحيح إن فيه نفعا كبيرا وكشفا عن أشياء واشياء، ولكن ليس هناك أديب يستطيع أن يقول ان الجاحظ كان يكتب باللغة العامية هذا من ناحية ومن ناحية ثانية إن التعابير العامية التي أوردها الجاحظ فى كتاباته قد مات اكثرها واندثر أما لغة الجاحظ العربية الصحيحة فانها لم تمت وإن الجاحظ يعرف بها لا بالتعابير العامية التي ضمنها كتاباته على ما فيها من نفع وكشف لذلك فالكتابة التي يريد لها صاحبها أن تحسب من كنز التراث الروحي للامة العربية يجب أن تكون كتابة عربية صحيحة وليس معنى الصحة

الاغراب في اللفظ والتنطع في صوغ العبارات ، وان ضمنت عبارات عامية فالأصوب تفسيرها في الهامش أو في مكان قبلها أو بعدها حيث ان هذه العبارات العامية ستندثر وتموت إن عاجلا أو آجلا وتسقط من حساب التعبير الأدبي فهي ضيقة وخاصة ومؤقته ليست لغة الأمة كلها لاهي لغة قرآنها ولا لغة انجيلها ولا لغة فلاسفتها أو أدبائها وإنما هي لغة قد تدنوا إلى أن تكون لغة أفراد قلائل نسبياً نشأت في ظروف خاصة ولأسباب قد تكون تافهة .

واكتفي الآن بهذا القدر حيث ان الافاضة في هذا الموضوع سينتج عنها إنقاص المزيد مما أنشيء هذا الجزء من أجله فلقد كان في نيتي أن يستوعب خمس قصائد ولكن المقدمه ألجأت إلى تأجيل اثنتين منها إلى الجزء السادس ولم أستطع حذف قصيدة «زورق النور» التي يحمل هذا الجزء اسمها

على طولها .

في هذه القصيدة ومضات فكر اصطرع بعنف مع نقيضة سنوات طوالاً سجلت حركته فيما يزيد على الفي بيت من الشعر في مخطوطات لم تطبع حرقها صديق لي مع ماحرقه من كتبي قبل مداهمة شرطة العملاء في الأردن بيتي في انتكاسة نيسان سنة ١٩٥٧م . حرقها في عجلة من أمره وبدون علم منه وهذه الأبيات بنيت على أساس سابق اخترت للمطبعة منها هذه الومضات .

زورق النور

- ١ -

زورقُ الأنوارِ والحُلْمِ السّعيدِ !
ليس سهماً في الفضا منطلقاً من « كيوبيد »
زورق الأنوار !
في ألواحِهِ ألفُ شهيدٍ وشَهيدِ
وعلى مجدافِهِ !
ألف صليبٍ لمسيحٍ من يَهودِ
دربُهُ بحرٌ من الجُهْدِ وموجٌ من صُمودِ
وعنا قيدُ النجومِ الزّهرِ !

من غاياتهِ الدنيا إلى المرمى البعيد !

- ٢ -

أيّ يومٍ مرّ من أيام عُمري !
ما وصلتُ الفجر سهرانَ بفجرِ
سابحاً في غمرة المجهولِ في زورقِ فكري !
طائفاً في الكونِ من بحرٍ لبحرِ
أهتدي بالنّجمِ في بُعْدي وقُربي !

- ٣ -

أنا وَحدي في عُباب البحرِ والأمواجِ وحدي !
غير أشباحٍ تراءى لي على بُعدٍ وبُعدٍ
ورسومٍ كانَ من قبلُ بها الملاّحُ يهدي !
قد تجاوزنا مداها في مدارٍ وقُطبِ

- ٤ -

الرِّياحُ الموجُ والأنواءُ مِن حَولِيَ تدوِي !

وجبالُ الموجِ تعلو بي طويلاً ثم تهوِي

والفِجاجُ الزرقُ تفضي بي إلى جوٍ وجوٍ !

لم يَدُرْ في خَلَدي يوماً ولا طافَ بِقلبي

- ٥ -

أينَ مَنْ سافَرَ مِنْ قَبلُ إلى هذا المكانِ !

أتُرى أوغِلُ في السّيرِ إلى شطِّ الأماني

أم تُرى الأجدرُ أن أرجعَ عنه لزماني

أنا أخشى سَعَةَ المطلَقِ هذا مع حُبّي !

- ٦ -

أنا أخشاهُ وأخشاهُ معَ الحُبِّ الشّديدِ

شَغَفٌ مُستحكِمٌ ليسَ عليه مِنْ مَزيدِ

شَغَفُ الحيِّ الذي يهفو إلى نيلِ الخلودِ
واجتماع الشمل بالأحباب !
مَن فارقتُ في غابرِ دَرْبي

— ٧ —

شُدَّ ياملاّحُ من أزرِك للمرمى البعيدِ
وتقدَّمْ سِرْ على اللُّجَّةِ في الفُلْكِ الجديدِ
ليسَ في المودةِ غيرُ العجزِ عن بذلِ الجُهود
واقتصارِ السائرِ الأعمى على لمسٍ ودَبَّة

— ٨ —

إقتحم لُجَّةَ هذا المزبدِ الطامي الفسيحِ
سِرْ بهِ في الزورقِ الهادي كأقدام المسيحِ
أو بُراقِ المصطفى مِنْ غيرِ أعلامٍ وريحِ

ما انثنى «أحمدُ» مِنْ هَوْلٍ ولا «عيسى» لِصلْبِ

- ٩ -

شُدَّ يا ملاحُ مِنْ أزْرِكَ في الكَوْنِ الرَّحيبِ
وتمتّعْ مِنْ عَجيبِ الحُسْنِ والفنِّ العجيبِ
وارْوِ للنّاسِ الذي تبصرُ في تلكَ الدُّروب
طالما يُسألُ مَنْ يُسألُ عَنْ سَمْعٍ وقلبِ

- ١٠ -

سِدْرَةُ الأنوارِ والشّهدِ التي في المُنتهى !
لم أزلْ في زورقي أسعى لها
ربَّ أرضٍ طُفتُها تيَّمتْ بها !
ربَّ وادٍ وافرِ النَّعماءِ خصبِ

- ١١ -

دُون شهد السدرةِ العصماء أشواكٌ حداد
شوكُها مثلُ علامات سؤالٍ عن مُراد !
غابة استفهام مسألين في الحقِ شِداد
هكذا صورتُها تبدو لِلُبّي !

- ١٢ -

أنا لم أعلقْ بها بَعدُ فما زلتُ أسير !
كم شطوطٍ طوّفِ الزورق فيها كمْ بحور
رُبّ ليلٍ ربّ نجمْ ربّ إصباح نضير !
ربّ وادٍ من جناه قد تدلّى كلّ رطبٍ !

- ١٣ -

ذاتَ يومٍ زورق مَرّ على وادي الحياه
وَسمِعتُ الضجّةُ الكبرى من الزّورق في بُعد مداه

ضجةٌ تلطمُ كالأمواجِ ، كالأنواءِ ، جُدرانَ بناه
قُلتُ أزدادُ وضوحاً كلماءِ يزداد قُربي

- ١٤ -

ودَنا الزورقُ والموجُ مع الزورقِ ممراحٌ طروبُ
وبدا وابتسم الفجرُ ، جميلٌ ومهيب
وأدرتُ الطرفَ والمنظارَ للوادي القريب
وأجلتُ اللحظَ فيه بينَ إعجابٍ وعُجبِ
بينَ إخصابٍ وجدب !
بينَ إنكارٍ وإقرارٍ وإعراضٍ وحدب !

- ١٥ -

ها هنا أبصرتُ بالأعيُن أسرارَ الحياه
كيف يمضي النسَقُ الأدنى وينشقُّ ثراه
عن جديدٍ هو أعلى سائرٍ نحوَ مداه

ثمَّ هذا لجديدٍ هو أعلى ، ! ثمَّ أعلى في قُواه !

- ١٦ -

وتبعثتْ النَّسقَ السائرَ في هذا السبيل
بَعدَ معدودٍ من الطّفراتِ في مَجرى طويل
فإذا بالكائن « الخالدِ » و « الواعي » « المريد »
كانَ من « فِطرةِ الكونِ » و « موجودٍ جديد » !
« قادرٍ » يُذهِلُ في القُدرةِ « أفكارَ الجُحود »

- ١٧ -

عجَبًا أضغاثُ أحلامٍ أرى أم أنّهُ الحقُّ اليقين ؟
أتُرى يحدُثُ هذا بيننا في العالمين ؟
أين تمضي « رحلةُ الوعي » على هذا الوجود ؟
بعد « ملياراتِ ملياراتِ قفزاتٍ » إلى أرقى جديد
إنها مثلُ غدٍ - إن يُسألِ الأمواتُ عنها في الألحود

- ١٨ -

إنّ نوعَ البشرِ المعْجَبِ والمغرور بالقُدرةِ
والحَوْلِ الشّديد !
إنّه نوعٌ ضئيلٌ الحَولِ محدودٌ زهيد
إن تقِسهُ بالذي يُوجد في الآتي البعيد
والبعيد !
الشّديد البُعد !
القاصي البعيد !
إنّه مثل غَدٍ إن يُسألِ الأمواتُ عنه في اللّحود!

- ١٩ -

إن يكُ الكونُ قديماً لانهائيَّ المسير
فملايين الملايين من الأعوامِ ليستْ بالكثير
أرضُنا قطرةُ ماءٍ في ملايينِ البُحور

عامُنا ، بل ألفُ عامٍ مثله ، يومٌ قصير

- ٢٠ -

أين من فارقت من أهلٍ وأحبابٍ وصَحْبِ
أيّ دربٍ سلكوها ؟ أيّ درب ؟!
هل خيالٌ لاحَ في رفّة هُدب ؟
كان وهماً كلُّ مالاقوه من سهلٍ وصَعب ؟
هل تُرانا نلتقي أم « بيننا يمتدُّ سور » ؟

- ٢١ -

ذاتَ يَوْمٍ زورقي مرَّ على أرضِ النشورْ
كالفَراشِ الناسُ في الشاطيء مبثوثاً يدور
نَضرةُ النُعمى على الأوجُه والأثوابُ من أزهى حرير
والمناديلُ كأوراق الزُهور !!
كلُّهُم لوّحَ لي لكنّني !

أبصر الحيرةَ فيهم والفُتور
لكأنّي أبصِرُ الحيرة والأشواقَ تغلي في الصدور
كلّهم ينظُرُ للزورقِ في شَوقٍ وفي لحظٍ كسير
قُلتُ أزداد وُضوحاً كلّما ازداد العبور !!

- ٢٢ -

واعتلَيْتُ الزّورقَ الهادي على مرأى البصير
ثم حيّيتُ !!
فحيّاني كما حيّيتُه الجمعُ الغفير ! !
وسمِعتُ الصّوت في الشطِّ كأنفاسِ العبير
والوُجومُ الذاهلُ العارم يهدا ويفور
« ليسَ مِنّا ذلك العابِرُ في البحر الكبير » !

- ٢٣ -

لستُ مِنكم غير أني بعدَ حينٍ قد أكون

أنا مِن أرضٍ ومن ناسٍ بعيدين ومن قومٍ تعمين
رغمَ تحديقِ العيون !!

- ٢٤ -

عبثاً أسألُ عَنْ أهلي هنا الجمعَ الغريب
لاصديقاً بينهم من أصدقائي أو قريب
لا نفوراً من معيب !!
فَهُموا قومٌ على سيماهمُ صفوُ القلوب
أنا مِنْ أرضٍ ، وِمن ناسٍ بعيدين - فمالي من مجيب !
فسلاماً أيها « الجمعُ الغريب » !
وَ ودَاعاً !!
أنا ماضٍ في دُروبٍ ودروب
لِصديقٍ !! لِحبيب !
زورقي يمخرُ بي في البحر أمواجَ الغُيوب !

- ٢٥ -

سِرْ بنا يازورقَ الثورِ فرمانا بعيد . . . !
ذاتَ يومٍ سنعود !!
سِرْ ، تقدّم ! لا تَعُد إلا من الشأوِ البعيد !
إنما نحن جنود !
نحن جُندٌ من جنودِ الحقّ في هذا الوجود
نحن في واجبنا نُخلِص في بذل الجهود
ما ادّخرنا طاقةً يوماً عن السّعي الحميد !!
سِدرةُ النور التي في منتهى أقصى الحدود
لجّ بي واحتدم الشوق اليها . . !!
لن أعود ! أو أحيد ! !
شُدّ من أزرِكَ ياملاّحُ للمرمى البعيد

- ٢٦ -

وقفتي طالت وقُدّامي طريقٌ لم يَزَلْ بعدُ طويل..
والأعاصيرُ على ميلادها ألفُ دليل
والمحيط انشطرتْ لجّته ذاتُ الفُصول ... !
فهي نصفٌ في السما فوقي غيومٌ وتُلول ...
وبروقٌ تخطفُ الأبصارَ من فرطِ الذهول ...
علا اللوح كتاباتٍ فمن يفهَمُ عنها ماتقول ..
ليت « موسى » يضرب البحر هنا ... !
أو يقرأ الخطَّ الجميل ... !

- ٢٧ -

مطراً أسودَ تساقطُ نُقطاتُ الحروف ...
حين تمحوها يدُ الرّعدِ المنيف ..
إن « موسى » حينما فرَّ من الوادي المخيف ...

كان ملء السّمعِ والآفاق صوتٌ ورفيف .. !

إن هذا الومض والأمطار ...

مألوفٌ إلى عيني لطيف ..

إنما تُذهلني هذي الحروف ...

- ٢٨ -

تملأ الدهشة والإعجابُ قلبي ... وتطوف ..

جوٌّ وعيي المرهف الحسِّ ... تطوف .

والمياه انبسطت أرجاؤها حولي ...

محيط من شُفوف ...

في فَمِ الماء سؤالٌ أنا عن سرٍّ مَخوف ...

- ٢٩ -

لم يسَلْ في الأرضِ قبل الناس عن سرّ الوجود

أيّ موجودٍ قريب العهدِ فيها أو بعيد ...

إنما الانسان ..

الانسان في الارض سؤالٌ وجهود

وهو ملحاحٌ عنيد ...

كلُّ شيءٍ حولنا ينطق لكِنْ من يُفيد ؟

إنّني أُلقي له سمعي طويلاً وأُعيد ...

— ٣٠ —

لُغةٌ مضمونُها لَيسَ من السَّهل اليسير ...

ثرثراتُ الفاقد الوعي ... !

أمِ استرسالُ علاّمٍ خبير ..

إنَّ هذا الكونَ قبل الوعي لا يُدرِك ما معنى الأُمور

لا ولا يشعُرُ فيم ؟! أو لِمَ ؟ ! كان يدور

كانت الكلمة في البَدْءِ فكان الكون ...

الكون الكبير

جوهر الدِّين قرار العقلِ أعماقُ الضَّمير ...
كلمةٌ لاينتهي مِنْ نبعها المعنى الغزير ..
يَذهلُ العاقلُ في استيعابها كيف يسير ..

- ٣١ -

لا حروف البرقِ في لوحِ النُّجوم ..
أو تعابير الرُّعود .
بالذي يستوعِب السِّرَّ العظيم .
إنها بعض إشاراتٍ ، وتلميحٌ زهيد ... !
ربما تعني : تقدَّم في الطريق ...
شُدَّ يا ملاحُ من أزرِكَ للمرمى السحيق
إن « للحق » على « الوعي » « حُقوق »

- ٣٢ -

ماسنا البرق الذي يهدي السبيل ..

أقوى من الوعي الأصيل ...
ثمَّ .. هيهات ... من السَّاري الوصول
إن يكن ليسَ سوى البرقِ دَليل ...
فإذا ضاء .. مشى في ضوئه ..،
وإذا كفَّ .. فَغَيظٌ أو عَويل ..

- ٣٣ -

ما الذي تعنيه في الحق البروق ؟!
كهرباء .؟
أيُّ شيء هي هذي الكهرباء ؟!
ولماذا ؟!
هكذا ...؟!
هذا الذي صار وجاء ؟!

هاهو الموجود والمحسوس فاصنع ماتشاء؟.

يالكثف الغمة النكراء عني والغباء..!

أنا من طينٍ وماء...

ثقُلَ الطين على الماء وساء...

آه لو يُسعفني بعض الذكاء..!

أنا لم أرضَ بأعانِ قلوب البسطاء الأبرياء..!

فاحتمِل هذا العناء.!

أيها الواثِق من حسٍ رهيفٍ وذكاء

إقرأ الخطَّ الذي تكتبه هذي البروق..

البروق الكهرباء !

- ٣٤ -

أنا أدري أنها ليست تعي.. ليست تشاء..

قلمي يكتُب.. لاكفي تعي.. لاقلمي

لكنني واعٍ أشاء
لمن الغيم ؟. لمن هذي البروقُ الكهرباء ..؟
أهي لي ؟.
لا . ليس لي ، من هذه الدُّنيا ولا فيها ، ثراء
أنا لا أملك غيرَ الحبِّ فيها والصَّفاء
أنا لا أملك غير العاصفات الهوج ...
في أعماق وجداني المضاء ..
بشعاعٍ : الوضوح المحض فيه كالخفاء
مثلما تكتب في لوح الغيوم الكهرباء ..!

- ٣٥ -

شدَّ يا ملاح من أزْرك في الليل الرَّهيبِ
وامضِ في البحر على وجهكَ في الماء الرَّحيبِ
لن يُراحَ الزورقُ المُتْعَب في شطٍّ قريبِ

إنَّ هذا البرقَ لا يُكتبُ في اللوح ذنوبي
أو نصيبي . . !
كانَ هذا البرق من قبلك من مليون عامِ
من ملايين من الاعوام إذ تحدى جسامِ
لم يكن يَسألُ عنه الغابُ أو طيرُ النمَّامِ
لم يَسل : ما يكتبُ البرق على لوح الغمام ؟!
وهو مازالَ كما كانَ على العهد القديمِ
الرموز البيض والحمر على لوحِ الغيومِ
وسيبقى . . لو قضى الناس . . وعادوا كالرميمِ
راقصاً في الغضب الجبّار حيناً والوجومِ
والاشارات التي تحسبها بعض العلوم
سوف لا تنفكّ عن إرسالها كفُّ الكريمِ
ودَعِ الغابةَ تتساءلْ عن السِّرِ . . وعن أمرٍ عظيم

خـُطـَّ في لوْح الغـُيوم . . . !

- ٣٦ -

إمضِ في زورقِكَ الهائم في بحرِ الخيالِ
بينَ شِعرٍ ونجوم . . . وليالِ
مثل شِعرِ الغادة السمراء في يومِ احتفالِ
ليسَ هذا الكونُ ياشاعرُ : عيد الكرنفالِ
أو تعابير من الشِعر أو السِحر الحلالِ

- ٣٧ -

إنَّ هذا الكونَ جافي الطبع صلد كالصُخورِ
لن يُنال العلم منه دون تجريبٍ عسير
إنَّ درب العلم ياشاعرُ ليْستْ بالشُعورِ
إنَّ وجدانك مهما رقَّ عن لمس الحرير . .
والزُهور . . !

لن يُلينَ الحجر الصلد ولاقلبَ الصخورِ
أو يُشيع الوعي في الغابة والرمل وأمواج البحور
كُفَّ عن هزلك أو تُزهق من الهزل الكثير

- ٣٨ -

آهِ ياقلبُ أهزْلٌ كان مِنّا
كلُّ ما صار لنا أو مرَّ عنا
يَسخر العلم بنا ياقلبُ ..
إنّا .. ما سخرنا مِنه يومًا بل سألنا
أحرامٌ إن سألنا ؟ !
هَل رأت عينٌ مدار الأرض في هذا الفضاء ؟
هل رأتها كرةً .. لا مكعبًا .. أعينٌ رائي ؟
لِمَ أيقنّا بلا حسٍ ولم تشهدْ عيون ؟
أوَلا يُغنيك صدق العقل عنها في اليقين . ؟

أنا جزءٌ من وجودِ الكون في جزءٍ زهيدْ
أتحدّى الأمرَ بالكفّ عن التفكير في أصلِ الوجود
أنني أومن بالتّقض وبالفعل . .
وبالتّغيير والتطوير للأرقى الجديد
غير أني سأزيد
أنّ هذا الطبع من طاقة فعّالِ مُريد
مصدر حَقٍّ أكيدِ ذي وجود . .
ولْيقُلْ من قال : زَجّامٌ بغيبٍ هو
خَرّاصٌ صفيق !
مثلما قد قيل لي من قَبلُ : هدّامٌ عريق
منطق الأرهاب لا يجدي ولا رأي الحَريق

– ٣٩ –

ما انتهينا بعدُ يازورق أحلامي العذابِ

سِر بنا في لجّة البحر الذي يرمي بأثواب السحابِ
التي طرّزها البرق بألوانٍ وشاراتٍ عجابِ
سِرْ على أعرافِ هذا الموج كالفارس ..
في بحرٍ من الخيلِ العِراب ..!

. . .

لم تُقارِب هَدفاً يوماً على طول الغِلابِ
دون أن ينزاح عن إغراء أهدافٍ عِذابِ
تَشغفُ القلبَ بها حُبّاً وتُغري باقتراب
والذي يَعشق لايقوى على بُعدٍ ولا طول اجتناب

— ٤٠ —

الفضا حولي محيطٌ لانهائيُّ الحدُودِ
والنّجوم انتثرتْ موجاً على بحر الوجودِ
يالقلبي .. !

أنني أشعرُ بالنَّجم وبالماء الغزيرِ

والبروقِ البيض والحُمْر وبالغَيمِ المطيرِ

وهواءِ الأرض، والأرضِ، و« مجهول الأثير »

كلّها تهتزُّ في رعشةِ ميلادٍ بأعماقِ ضميري

أيُّ شيءٍ لم يُبشرْ لي من قريب أو بعيدِ

أنه من أصلِ تكويني، من آباء نوعي أو جدودي

لكأنّي ألمس الفرحةَ في الكون لميلاد الوليد

ذلك الانسان ؛ هذا السّائل الملحاح عن أصل الوجود

ذلك المولود فجر الوحي وابن الله في « معنى فريد

- ٤١ -

والدي !

تعجز في شوقي لِلُقياك نِهايات جهودي

أنا في البحر على الأمواج في جزرٍ وفي مدٍّ شديد

سُرعة النُّور التي تُذهل ..

كالخطو الوَئيدِ !

والملايين من الأعوام لِلسِّدرة مرمى مِن عديدِ

- ٤٢ -

زورق الصوفيّة التّائه في بَحْرِ الوُجودِ

دَربُه ليست على دربي .

ولا ألواحُه بيت قصيدي

لستُ سهماً في الفضا منطلقاً من « كيوبيد »

أنا من هذا الوجود

أنا من هذي البروق البيضِ والحُمْرِ ومن هذي الرعود

أنا من هذي النّجوم الزُّهرِ من أمواجِها ..

من منبعِ النُّورِ البعيدِ

من تراب الأرض

مافي الأرضِ من شيء عظيمٍ أو زهيدِ
النّقيضانِ حُدودي
أنا لا أهمِلُ في شوقي إلى الأنقيا وجودي
أنا أدرى بوجودي

النقيضان حدودي

زورقي آمَنُ في السّير وأهدى في الصّعودِ
من هنا من هذه الارض من الواقع والحسِّ الأكيدِ
من صُعوباتي التي تسهُلُ بالجُهد الجهيدِ
من هنا من نقَضِ هذا الأسفلِ الادنى وإعمارِ الجديدِ
من هنا ..
ينطلقُ الموكبُ في دربِ الصّعود

لارتقاء وخلود

زورق الأنوار والحلم السعيد
ليس سهماً في الفضا منطلقاً من « كيوبيد »
زورق الأنوار
في ألواحه ألف شهيد وشهيد
وعلى مجدافه ألف صليب ، لمسيح ، من يهود
دربه بحر من الجهد وموج من صمود
وعنا قيد النجوم الزهر
من غاياته الدنيا .

الى المرمى البعيد ...

١ / ١٩٦١ م

لومومبا

مشهد من الصراع الأبدي بين الخير والشر كان بطرسه الجديد باتريس لومومبا

نعم إن باتريس لومومبا قدّيس من طراز القديس بطرس والمهاتما غاندي ولو لم يبلغ مستواهما ، إنه قديس حتى لو عثرنا في وصية له على أنه يرفض أن يكون من القديسين ، وإلى جانب الخير من الصراع الابدي في دنيا المتناقضات ، إلى الأثر الذي تركه لومومبا أهدي ، هذه القصيدة

لومومبا

إما حياة العلى أو ميتة البطل — مصير كل كفاحٍ غير مبتذل
ولا أدل على نفس وخستها — من اللجوء بلا عذر إلى الحيل
ومن يفر بلا أسرٍ ومعركة — لا يستحي من نقيض الحق والخجل
لا تنتحل أي عذر لست تشفعه — ببينات صمود غير منتحل
ما كان أقدر « لومومبا » على بدل — لو يرتضي شرف الاحرار بالبدل
أعيذ نجمين في عينيك ضوؤهما — عن صفو ليل الهوى واللهو في شغل
هما الحريقان في ليل قذفت به — من حُرِّ وجهك وجه الابيض الثمل
حتى صحا النذل واحتالت نذالته — على وفائك بالتمويه والمطل
لابد في ساحة الجيشين سفك دم — إن كان فيها قتال غير مفتعل
إيهٍ « لومومبا » فلو أن الحياة بلا — مني لكنت عظيم الوزر والزلل
لكن عمرك برهان الوجود على — يوم الحساب بهذا النقض والجدل
الخير والشر مذ كان الوجود هما — هما النقيضان في تحريكه الأزلي
قد كنت شفرة سيف في يدي بطل — ما زال يدرج في أيامه الاول

لم يبله الدهر بالتجريب في زمن ماض على غامض التعقيد في السبل
من قلب إفريقيا العذراء حدّثه إن كان منفعلا أو غير منفعل
وكان خصمك شراً لا مثيل له لكنه في المخازي مضرب المثل
براءة الحق درس منك نفهمه لابد من حذر فيها ومن وجل
خوف الشجاع تقى من ان يحاط به لكن خوف الجبان الشك في العمل
إذا بدا الحق فالاخلاق بادية لكل عقل سوي غير مختبل
لقد أضأت سبيلا جد مظلمة في الغابة البكر للسارين في الجبل
إن الصعود على درب العلى خطر في عتمة الليل فاسطع فيه واشتمل
لعل موكب مجد كنت قائده يهدي السبيل فان الليل لم يزل
مازال يسدل شومبي من ستائره على « كتنغا » ستاراً غير منسدل
يودّ لو تختفي كف ترقّصه على المناجم رقص الشارب الثمل
إن كان ينسى هيروشيما ومحنتها إذ استحال بها المعمور كالطلل
ورقصة الموت في ساحاتها امتلأت بالنار والدم والأشلاء والعلل
فالناس تذكر لاتنسى وتعرفه وغداً وينكأ جرحاً غير مندمل
لاتشتفي نفس حرّ من جراحتها مالم تمرغ رؤوس الاثم في الوحل
لم تمض عشرون يوماً بعدها كنيدي على الوعود بنصر العدل ، فاعتدل
الوعد سهل ولكن الوفاء به صعب على مضمر الأخلاف والمطل
لايستقيم من الأخلاق مرتكز على اعوجاج ضمير غير معتدل

والقولُ مهما تكنْ خيراً ظواهره فلا يدلّ على صدق بلا عمل

تِه في غرورك بالاموال وافرة وبانقياد عبيد المالّ والخول

وبالزعامـــــة للاشرار تحشدهم حشد الذئاب على مستروح الحمل

ما أصدقاؤك في الدنيا سوى نفر مخلّق من وحوش الاعصر الأول

ومن يعش ير عقبي ما يؤول له أمثال شومبي من الاوغاد والسفل

أرى الجماهير يسري الحقد في دمها والأرض قد بدأت تهتز في ثقل

في الشرق والغرب من أرجائها نذر على العواصف ذات العارض الهطل

اذا استخف وقار الحلم وارتجفت فانظر تساقط ما سموه بالدول

حجارة في بناء الظلم شيدهـا مهندسون طوال الباع في الحيل

تخطيطهم في ظهور المرهقين بها لذع السياط وطول الجهد والشغل

كلّت عيونهموا من فرط ما جهدوا حتى كأن بها شيئاً من الحول

ما كان حقد لومومبا غير بيّنة على رهيب من الاحقاد مشتعل

إن أطفأوا جانباً من شعلة سطعت لسوف يتبعها سيل من الشعل

تشقق الأرض ممـا كتمت حقباً في صدرها وغلى فيه على مهل

طب قرّ عيناً لومومبا لست أول من أرسلت من ركبنا أو آخر الرسل

ركب التحرر ما زالت مواكبه موجاً يتابع موجاً غير منفصل

بحر من النار والأحقاد مضطرم أخف أمواجه أعلى من الجبل

يأس ودمعة وتمرد !!

– ١ –

يأس

في العُرْف ِ أن يتجلَّدَ المحزونُ !
أن يَتكلَّف الصبرَ الجميل !
لا أدَّعي الجَبروتَ
حطَّمني الشقاء وهدَّني الحُزْنُ الطويل !
أنا يائسٌ ! أنا حائرٌ قلقٌ ويَمروني الذهول !
هذا الفراغ الهائل الملعون !
تحمِلنه إلى روحي السيول !

وتصبّه صبَّ الغروبِ الأصيلُ!
في حلقِ الصّحاري والحقول!
تُسقاه في الكأسِ التي لا تنتهي !
شَفَةُ العليل !
أرأيتَ لو سُحِقَتْ جبال الفَحْم !
في يَوْم العواصف والسُّيول
وتناثَرَتْ دنيا ضَبابٍ لا يَحول ولا يزول !
أرأيت كيفَ ترى العُيُون بها وتُلتَمسُ السَّبيل !
أنا في فراغ الكوْن !
أضيَعُ مِنكَ في هذي الوحُول !

دمعة أو أسود!

- ٢ -

أسْوَد !
أسْوَدْ !
ليْلي أسْود !
يوْمي أسود !
قلبي أسود !
حتّى المحروق دَمي أسود !
أسْوَد!
مِن حِقْدي ! مِن غلّي ! مِن غابةِ أحْزاني ! أسود
قلبي الضّوئيُّ الماسيُّ شظايا من فحمٍ أسود !
ودَمي يتجمّد كالقطران كنبعٍ محترق أسْود !

حتّى إحساسي المتمرّدُ !
شيئاً شيئاً ينهدّ !
أأظلُّ على نفسي أكذِبُ !
من أصدقِهِ قولاً من بعْد !
أأقول مسحتُ على جُرحي !
وَنسيتُ شقا أمسي الأنْكدْ ؟ !
أأقول وآهاتي ريحٌ من نار جهنّم أو أزيد ؟ !
لأكادُ أراها بالعينِ وأَلمَسُها لمساً باليَدْ !
ريحٌ ينطفِئ بها الفجر المتوهِّجُ !
تجعلُه أسود !
أسود ! أسود !
أأقول نسيتُ ولا أنفكُّ !

ارى في كلِّ مكانٍ يدْ !

تعدُو وتحييني !

هو نا تمتدّ إلى كفي تمتدّ !

وأفيق من الحُلمِ الحُلوِ !

يُغالبُني دمعٌ أسْود !

وبكاءٌ في القلبِ على موعدِ !

ينتظرُ فراغي من حُلمي !

ايُذكرني اليومَ الأسْودْ !

وأحاول جُهدي يتركُني

يوْماً لِلغدْ !

لاجُهدي ينفعُني شيئاً

في الرّدِ ولا هُوَ يرْتدْ !

- ٣ -

تمرد!

سأمزّقُ قيدكِ يا أحزانَ بأسناني !
لَنْ أتقيَّدْ !
سأعَضُّ حديدكِ حتّى الموْت !
فأمّا أهلكُ أو ينقدّ !
أنا منكِ أحدّ !
من الأيامِ من الآلامِ من الأسقامِ !
أشدُّ أشدّ !
سأدوسُ بنعْلي في وجهِكِ !
أمحو الشّامةَ فوقَ الخدّ !
يا نارَ مجوسيٍ !

يمشو في ضوءِ الصُّبحِ إلى الموْقِد !
أرْمَدْ !
من لفحِ النّارِ !
وذي وجهٍ أسود !
كعَصيرِ دُخانٍ !
في كفٍّ من قبْضةِ صلْصالٍ أسودْ !
الثّورَة يا مِنْجلَ فِكري !
زرْعِ الآلام قَد استحْصَد !
ضربتْ في القلْب جُذور الحُزن !
وما زالتْ تضرب... تمْتَدّ !
أحزانُكَ مَدٌّ !
يضطَربُ الزّورَق فوقَ الموْج !
إذا ما بحرُكَ قدْ أزْبدْ !

هَدْهِدْ ! أعراف الموج !
وأمْسِكْ !
أمسِكْ في الزّورقِ بالمقوَد !
أمْسك واعتَدّ !
إعتدَّ بنفسِكَ أنت القاهِرُ !
لن تُستَعبَدْ !
إقذفْ في البحر بهذا الحُزنِ !
إذا لم تحذَر أن يفسدْ !
إقذفْ !
وليفسدْ ! وليجمدْ !
سأسيرُ ولو في كُتَل الثّلْج !
سأمضي قُدماً !
لن أرْتَدّ !

وليَسقُطْ وليَمُتِ المُقْعَدْ !
إن يقوَ على السيرِ ولمْ يمضِ يخترق الحدّ !
والسدّ !
يُذوِّبُه بالنفسِ النّاريِّ !
إذا لم يتسلّق أو يصعدْ !
ما أهونَ من لا يتمرّد !
الحقُّ هو الغايةُ والبدء !
سعِدْتَ بهِ أو لمْ تسعَد !

كلمة حول القصائد

هذه القصيدة الأخيرة « يأس ودمعه وتمرد » هي امتداد لقصيدة « الساعة الخامسة » المنشورة في الجزء الرابع « حبّ وحقد » فإن العوامل التي أدت إلى الانفعالات الوجدانية في كليهما واحده لولا أنها بلغت حدّ المأساة في الثانية فقد توفيت زوجتي في ظرف بالغ السوء وتيتم أربعة أطفال صغار توزعوا على أسر الأقارب لأن أسرة واحدة لا تستطيع أن تعول أربعة أطفال مع أطفالها وتضاءل الأمل مؤقتاً في عودة كريمة إلى الوطن الصغير. وأما إخوة الكفاح فلم أرَ منهم اللهم إلا ما يمكن أن يحسب في عداد الإساءة

والآلام ؛ أسلمني هذا إلى ضباب فحمي من الفراغ والضياع أخذ إذ هدأ فتكاثف وتجمد يسح على نار الألم دمعاً أسود ولقد مررت في هذه الأثناء بالشاعر « أليوار » ينشد قصيدة « أسود » التي تفجرت من قلبه بفعل ظروف مشابهة تقريباً فقدم لي بعض العزاء مع الشكر والاعتراف بالجميل ، في مقاطع « دمعه » من القصيدة المذكورة ولكن الحياة عنيفة ثائرة لا تستسلم لليأس والألم وفيها رمق أو ذماء ، فلم تطل فرقة أخي « أليوار » حتى تمردت الحياة على الألم المستبد المُستعبد والحق أنني لا أعلم لمن النصر في معركتي الخاصة هذه ومتى ؟ مع إيماني بأن الحياة ستهزم الألم في النهاية ولكن ليس من الضروري أن تكون حياتي أنا بالذات وإنني غير مدخر جهداً ، وعسى ... !!

أما القصيدة الأولى « زورق النور » فأحبُّ أنْ أضيف إلى ماقلته في آخر الكلمة قبلها ما يأتي ؛ : مخطيء من يظن أن الاطمئنان العقلي ، إلى أحد المفهومين المتناقضين عن الوجود ، المثالي والمادي ، أمر سهل يسير على الذهن المستنير وأشد منه إيغالا في الخطأ من توهم أن البقاء في الشك والقلق هو ذروة النشاط الذهني الحر المبدع حيث أن "الشك والقلق هو مظهر احتدام المعركة لامظهر انتصار أحد الطرفين المتعاركين وبقاء المعركة وعدم انتصار أحد الطرفين فيها ولو في نهاية شوط معين ولمدة معينة هو الاستحالة بعينها وهو النفي القطعي لاستحقاق الشك لقب ذروة النشاط العقلي ؛ رائع ملهم ما أبدعه إيليا أبو ماضي ومن قبله عمر الخيام في هذا الميدان ولكن الحياة كما تريد العراك وتفرضه وإنها

كذلك تريد النصر وتفرضه .

الفكر في هذه القصيدة مثالي مؤمن ولكنه ليس وليد هذا العام ولا أربعة قبله فقد اطلع على تطوره منذ أعوام عديدة قبل هذه ، أصدقاء لايزالون على قيد الحياة أما أنه لم يظهر إلا الآن فهو قول مردود لأن أول انتاج لي احتوى أصوله وأشار إليه وكان ذلك في قصيدة « أيها الحارس » التي قيلت في معتقل الجفر ونشرت في الجزء الأول من ديواني « من رمال الجفر » والتي لم تطبع صورتها على غلاف هذا الجزء من قبيل الصدفة وإنما في ذلك إصرار على الايمان واصرار على الكفاح فى نفس الوقت باسلوب علمي وايمان بوحدة نضال شعبنا العربي قبل كل شيء والتحام عربي هذا النضال بالنضال الانساني التقدمي بشكل يعي المؤمن فيه غايته القريبة والبعيدة؛

مادية شاكة قلقة ، ومثالية شاكة قلقة ، وحيرة وقلق بينهما كلها أمور موجودة حقاً ولكن ، ماديّة مطمئنة راسخة ومثالية مطمئنة راسخة وموقف غير متردد بينهما هي الأخرى أشياء موجودة حقاً في أفكار بشريّه ، لا يشترط فيها الضعف ولا العبقرية حتى تنتسب إلى موقف أصلي جوهري من مواقف الفكر الانساني عن البدء والطريق والغاية .

الفهرس

الاجزاء

تصحيح

	الخطأ	الصواب	الصحيفة
١	تعليم	تعاليم	٩
٢	ستبصبح	ستصبح	٩
٤	كلماء	كلتيما	٢١
٥	وسبق	وَسَيَبْق	٣٥
٦	جد	جِدًّ	٤٦